إشـــكاليات المصطلحات الأدبيـــة والمصطلحات النقديـــة

مُنـــى يوسف محمّـــد حمودة ـ كلية التربية / الزاوية ـ جامعة الزاوية.

المقدّمـــــــــــة:

لا شكَّ فـــي أن المصطلح أداةٌ توصيلية تواصلية للتعبـــير عن معنـــى ، أو فكـــرة، أو موضوع في مجال اختصاص معين ، وهو لفظ موضوعـــي يتّســـم بالوضوح، والضبط والثبات ، وعدم الانزياح الدلالي.

والمصطلح النقدي كغيره من المصطلحات اللغوية والأدبية والبلاغية والعلمية يصاغ بواسطة آليات وطرائق أهمها النحت ، والاشـــتقاق، والتعريف والترجمة ، ويشـــكّل المصطلح في المنظومـــة المعرفية أهمية قصوى ، ذلك أنَّ الحقول العلمية تتحدَّد بتحدّد دلالات مصطلحاتها، واستـقرار مفاهيمها، وبقدر رواج المصطلح وشيوعه ، يُحقِّق العلم أو الحقل المعرفي ثبات في منهجيته ، وعلى العكس من ذلك فبقدر كثرة المترادفات والترجمات للمصطـــلح الواحد بقدر ما أدَّى ذلك إلى حيرة كبيرة في اعتماد ترجمة دون أخرى أو اعتماد مصطلح ونبذ مرادفه، فهذه الفوضى المصطلحية في المصطلحات النقدية المُعرّبة والمترجمة من اللغات الأخرى هي التي دعتِ الباحثة للكتابة في موضوع هـــذه الإشكالية، لعلمها أنَّه ينبغي ألَّا يكون للمصطلح المتخصص مرادفٌ أو ترجمات مُتعدِّدة؛ لما يشكله ذلك من سوء في فهمه أو استخدامه.

وطبيعة هذا الموضوع تقتضي اتباع منهج معين من شأنه أن يفي ببعض جوانب هذا البحث، فقد اعتمدتِ الباحثة على المنهج الوصفي لعرض أهم المفاهيم المتعلقة بالمصطلح عامة والمصطلح النقدي خاصة، ويعتني هذا البحث بدراسة إشكاليات المصطلح النقدي وببعض ما يرتبط به من مسائل وقضايا، والتي من أهمها التعددية في ترجمة المصطلحات النقدية وكثرة المترادفات للمصطلح الواحـــد الأمـــر الذي يؤدّي إلى انعدام صلاحيته في أداء الغرض الذي سيق لأجله وينهض البحث بمقدمة وخاتمة بينهما استعرضت فيه الباحثة بعض المفاهيم الأساسية كتعريف المصطلح وبيان أهميته ووظائفه المختلفة والوقوف على بعض الجهود المبذولة في المصطلح سواء أكانت فردية أو جماعية، ويأتي بعد التمهيد ثلاثـــة محاور اختص الأول منها بالمصطلح النقدي عند النقاد العرب القدامى ، واختص المحور الثاني ببعض الآراء والدراسات الحديثة حول المصطلح، أمَّا المحور الثالث فكان بعنوان اشكاليات المصطلح

وجهود الباحثين العرب في الحدِّ منها، ثم يلي ذلك الخاتمة، وقد ضمنتها الباحثة بعض النتائج وبعض التوصيات يليها الهوامـــش ، وأخيرًا أشكر الله - عز وجل- الذي وفقني وأعانني وأتمني أن يكون عملي هذا ثمرة تضاف إلى هذا الحقل لينتفع منه كل باحث تدفعه الضرورة إليه ولو بالقدر اليسير.

التمهيد :

تعريف المصطلح:

1- فـــي اللغــة : تأتي كلمة المصطلح مأخوذة من مادة صلح " الصلاح ضد الفســـاد صلح يَصْلُحُ صلاحا وصُلُوحا... والصُّلح تصالح القوم بينهم والصلح السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا واصّلحوا وتصالحوا واصَالحوا"[1]، ويذكر (ابن فارس) أنّ "الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد "[2]، وجاء في كتاب (التعريفات للشريف الجرجاني) أنَّ " الإصلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخـــراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخـــر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضـــع اللفظ بإزاء المعنى ، وقيل : إخراج الشيء من معنى لغوي إلى آخـــر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين"[3].

2- فـــي الاصـــــطلاح : اجتهد أهل الاختصاص في وضع عدة تعريفات للمصطلح لكونه يُؤدي دورًا في التنمية اللغوية من بين تلك التعريفات: " المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو نقدية... يوجد موروثًا أو مقترضًا ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة"[4]، " الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحـــرى استخدامها وحدد في وضوح ، هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة ، وله ما يقابله في اللغات الأُخـــرى ويـــرد دائمًا في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدّد فيتحقق بذلك وضوحـــه الضروري"[5].

3- أهمية المصطلحات النقدية ووظائفها : المصطلح النقدي كغيره من مصطلحات الفروع العلمية الأُخـــرى يُيسر البحث، ويرسم العالم رسمًا مختصرًا؛ لذلك فإنَّه لا مفر منه في كل دراسة نقدية ، إذ ليس من مسلك يتوسَّل به الباحث إلى أي معرفة من المعارف غير إلمامه بالمصطلح، ثم أنَّ التحكم في المصطلح هو في نهاية الأمر تحكم

في المعرفة المراد إيصالها، والقدرة على ضبط انساق هذه المعرفة والتمكن من إبراز الانسجام القائم بين المنهج والمصطلح أو على الأقل إبراز العلاقة الموجودة بينهما"[6].

4- **المصطلحات تكتسب معنى خاصًا** يفهمه المشتغلون في حقل معرفي محدد ، وكذلك من يشاركهم هذه المعرفة، والمصطلحات في العادة تنمو وتحقق صيغة الانتشار لتلبي حاجة الكشف عن معانٍ محددة ، وتضبط حدود هذه المعاني، وتؤلف نسقًا معرفيًا يشير إليه المصطلح ويدل عليه ، وقد تراكمت عبر العصور أعداد كبيرة من المصطلحات والصيغ الاصطلاحية التي تعود إلى تيارات وأنظمة معرفية لتؤلف الحدود التي تتحرك في دوائرها المعارف الإنسانية.

المحور الأول ـ المصطلـــــح النقدي عند النقاد القدامـــــى:

إنَّ الوعي بالمصطلح في الثقافة النقدية العربية ليس حديثًا، وإنَّما هو قديـــم وليس وليد النهضة الأدبية والنقدية الحديثة وخير ما نستدل به على ذلك أقوال الجاحظ النقدية[7]، "إنَّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، بل هي ليست مفاتيح فحسب، وإنَّما هي خلاصة البحث في كل عصر وبلاد، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم وفي تطورها يتلخص تطور العلم"[8].

وورد في كتاب الجرجاني (التعريفات) "أنَّ الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل من موضعه الأول"[9]، وكذلك أقوال ابن حزم الذي يعد من النقاد العرب الذين أكدوا على أهمية المصطلحات في الفعل المعرفي حيث قال: "لابد لأهل كل علم، وأهل كل صناعة من ألفاظ يختصون بها للتعبير عن مراداتهم وليختصروا بها معاني كثيرة"[10].

المحور الثاني: بعض الآراء والدراسات الحديثة حول المصطلح:

تزايد الاهتمام بالمصطلح بشكل واسع في الوعي النقدي العربي مع الثورة اللسانية والنقدية التي شهدها القرن العشرين والتي مثلت مرحلة الستينيات أهم بؤرها المتفجرة، وما صاحب ذلك من مشكلات ناتجة عن التعريب والترجمة، وخاصة في مجال اللسانيات، فقد برزت إلى الوجود في ضوء الترجمة مفاهيم جديدة ومصطلحات لم تكن معروفة من قبل في الثقافة النقدية والألسنية العربية، ومن الأُمـــور المؤكدة أنَّ معظم مصطلحات النقد الأدبي حديثة المنشأ ولّدها الانفجار النقدي في ميدان الشعرية ونظرية الأدب منذ الستينيات وحتى يومنا هذا[11]، ويعيش المصطلح النقدي الأدبي في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة بين عقدتين : عقدة المصطلح أصلا ، وعقدة الذات، وهذا يعني أنَّ واضع المصطلح الأصلي قد وضعه بانفعال وحماسة قد تعرقل مرحلة

التنســـــيق لهذا المصطلح؛ ولذلك فإنَّ نقاد الأدب العربي المحدثين والمعاصرين حيث يستعملون هذا المصطلح أو ذاك أو مرة بعد اقتناعهم بصلاحه لا يستمرون في استعماله، وقد شقَّ عليهم التخلي عن سنتهم الذاتية في التصنيف والاصطلاح[12].

إنَّ اختلاف مصادر البيئة الأُولى للمصطلح ســـــواء أكان لغويًا أم لسانيًا أم أدبيًا أم نقديًا أم بلاغيًا يغني اختلاف اللغات الأجنبية التي جاء منها هذا المصطلح أو ذاك في هذا الميدان المعرفي أو ذاك فضلًا عن طبيعة التجدد الذي يصاحب المعرفة الإنسانية، وتعدَّد المدارس والاتجاهات والتيارات والمناهج الأدبية والنقدية، وقد تضافرت هذه الأشياء على تعقيد المصطلح النقدي فجعلته إلى الاستعصاء أقـــرب منه إلى التسوية والتماثل[13]، وقد مهَّدت هذه الظاهرة السبيل إلى كثرة الجدل والاحتجاج بين المختصين من نقاد ولغويين ولسانيين إلى اعتماد هوية اللفظ أو اعتماد مضمون الدلالة سندًا لبناء المصطلح وصوغه، ومن ناحية أُخرى تنشأ تعددية المصطلح الواحد في الاستعمال الأدبي والنقدي، وهذا ما شهدته الساحة الاصطلاحية النقدية العربية في القرن العشرين وخاصة بعد النصف الأول منه نتيجة التطور العلمي والتقني والفكري المتميز بكثرة مرجعياته الفلسفية وتعددها من جهة واختلاف مناهجه في الفكر والترجمة الأدبية من جهة أخـــرى، ومن الأدباء الذين اهتموا بالمصطلح في التراث النقدي الدكتور (رجاء عيد)، حيث أكد أنَّ معظم المصطلحات استمدت من حياة الأعراب فهي خليط من التصورات استمدَّ بعضها من عالم الأعراب وخيامهم: البيت، العمود، ومن عالم سباق الخيل : المجلى، المصلى، ومن عالم الثياب: حسن الديباجة، ومن عالم الحرب والشجاعة: متين الأسر، ومن ظروف التصارع: النقائض[14]، وفي سياق عرضـــه للكتاب عرض جملة من الإشكالات التي تعترض المصطلح منها مشكلة المعجم والمُتمثلة في الخلط في بعض المعاجم بين المعنى الحرفي، والمجازي وعدم تتبع انتقال المصطلح من دلالته المعجمية إلى الدلالة النقدية إضافة إلى مشكلة الاضطراب[15]، أما (عبدالسلام المسدي) فقد خصص في كتابه (الأدب وخطاب النقد) مساحة فكرية تناولتِ (الالتباس المعرفي وتبرئة المصطلح)، وما ضمنه هذه المساحة الفكرية ضرورة معرفة خبايا ودقائق المعرفة اللغوية " اليوم لا يكفي الباحث أن يكون لغويا حاملا لمخزون واسع من ثقافة فقه اللغة حتى يواجه المعضلة الاصطلاحية، ولا يكفيه أن يكون لسانيا وقف همه على اللسانيات النظرية أو أحد أركانها الكبرى، وإنَّما عليه أن يكون مدركا للدائرة الضيقة الدقيقة التي تتقاطع عندها مشارب عدة من المعرفة اللغوية"[16].

المحور الثالث ــ جهود الباحثين العرب في الحد من إشكاليات المصطلح:

إنَّ خصوبة الإنجاز المعرفي الغربي المعاصر ولَّدت كمًّا هائلًا من المصطلحات، بل اللغات الاصطلاحية التي يستخدمها النقد ، ما يجعل النقد المعاصر في الغرب لا في الوطن العربي فقط غامضًا يستخدم لغة ســـــرية تفهمها نخبة محدودة من المشتغلين بالنقد، لكن أزمة النقد العربي أكثر تعقيدًا بلا أي شك؛ لأنَّ غموض لغة النقد هو في الحقيقة ذو طبيعة مزدوجة، إذ أنَّه متأتٍ أولًا من صعوبة المصطلح النقدي المنقول إلى العربية، ومتأتٍ ثانيًا من غموض هذا المصطلح بالعربية وعدم تمكن القارئ من إحالته إلى نسق معرفي متداول في لغتنا تحيلنا هذه الصعوبات إلى مشكلة الترجمة وعدم انضباطها، وتجرؤ العارفين باللغات المترجم عنها وغير العارفين بها على نشر ترجمات أقل ما يمكن أن يُقال فيها إنَّها تزيد القارئ بلبلة، وتضفي غموضًا جديدًا على المعارف المنقولة إلى العربية بصورة جزئية، ولتعترف بأنَّ عملية نقل المعارف الإنسانية المعاصرة إلى اللغة العربية في الفترة الراهنة تتم بصورة عشوائية ما يجعل القارئ العربي يطلع على معارف مقطوعة عن سياقاتها الحضارية والاجتماعية والمعرفية، ويلم بأقل ممَّا ينجز في حقول المعارف الإنسانية المختلفة التي تتطور باستمرار، وتجري الإضافة إليها كل يوم تقريبًا، وينعكس هذا على التشتت المعرفي على اللغة الاصطلاحية.

ومن ناحية أُخـــرى فإنَّ اختلاف الترجمات وتعدّد التفسيرات الاصطلاحية ووجود أكثر من مصطلح يشـــير إلى الشيء نفسه يزيد من الفوضى الاصطلاحية، وتعزز غموض اللغة النقدية، ونسوق بعض الأمثلة على ذلك لبيان مقدار الفوضى التي يقع فيها القارئ بسبب الاختلاف بين الترجمات:

1- يترجم (كمال أوديب) كلمة (Paradigm) بـ : (منسق) فيما يترجمها سعيد بنكراد بـ : (جذر)، ويترجمها سعيد الغانمي بـ(التبادل) ويترجمها محمد الولي ومحمد العمري بـ(البدل) فيما يترجمها يوسف الصديق بـ(الجدول).
2- يترجم (كمال أوديب) كلمة (Code) بـ(تقنين) ويترجمها سعيد بنكراد بـ(سنن) ويترجمها سعيد الغانمي بـ(الشفرة) وكذلك يفعل جابر عصفور.
3- يترجم (كمال أُوديب) كلمة (Paradox) بـ(المفارقة الضدية) ويترجمها جابر عصفور بـ(المفارقة البنيوية)[17].

هذا على سبيل المثال وســـوف نجد في الكثير من الكتب النقدية المترجمة، وفي المقالات النقدية اختلافات كبيرة في ترجمة المصطلحات، كما سنعثر على

استعمالات لهذه المصطلحات تتجاوز ما وضعت له أصلًا، وممَّا تقدَّم نستشف عدم وجود اتفاق بين النقاد وواضعي المعاجم على صيغ اصطلاحية محدّدة وينعكس هذا التباين في الترجمات على فهم القــرّاء للمعاني التي تهدف المصطلحات المترجمة إلى إيصالها، ولابدَّ أن نشـــير إلى وجود اتفاق جزئي على بعض المصطلحات النقدية التي حققت قــدرًا من الانتشار لدى المشتغلين بالنقد العربـــي ولدى القرَّاء والمهتمين ، لكن عدد هذه المصطلحات يظل قليلًا إذا ما أحصينا العدد الضخم مـــن المصطلحات التي تدخل عالم الكتابة النقدية العربية يومًا بعد يوم.

وقد واجـــــه المصطلح الأدبي والنقدي العديد من الإشكاليات وبشكل خاص منذ السبعينيات وحتى وقتنا الحاضر منها:

1- غياب التنســـيق بين الباحثين فيما يخص المصطلحات في القطر العربي الواحد.
2- انعدام وجود مراكز عربية تختص بالمصطلحات وتتفرغ لوضع قواعدها وأُسسها.
3- وضع كثير من الباحثين مصطلحات فردية تتسم بالفوضوية، وبهذا يفقد المصطلح حمولته الدّلالية الموضوعية المرتبطة بمرجعيته المحدّدة الواحدة ليستبدلها بأخريات متعددة بتعدد واضعيها ممَّا ينعكس سلبًا على كفاية المصطلح ودوره الفعال في توحيد المعلومات.
4- إنَّ أغلب المصطلحات الحديثة غربيـــــة المنشأ متعددة اللغة وصلت إلينا عن طريق الترجمة، والتي هي قاصرة عن الادلاء بالتعبير اللغوي الدقيق للمصطلح الغربي، وأمام تعثر المنهج في دراسة المصطلح اللغوي والنقدي وتعثر تأسيسه أمام ما نتج عنه من آثار سلبية تصدّى عدد من الباحثين العرب لوضع مقترحات تحدّ من تأزم الحالة الراهنة، ومن هـــؤلاء الباحثين العرب (أحمد مطلوب)، فقد حدَّد خطوات الحدّ من هذا التأزم في ضوء التوجه لوضع معجم حديث وهذه الخطوات هـــــي:

1- رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالاتها.
2- نقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة إلى المعاني الجديدة بطريقة التوليد.
3- جـــــرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيـــق للدلالة على المعنى الجديد.

4- جرد أهم الكتب الفلسفية وعلم النفس وعلم الاجتماع والفنون واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي وهناك متابعات كثيرة لمشكلة المصطلح غير متابعات أحمد مطلوب ، من ذلك اللبناني (ميشال عاصي) في كتابه : (مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ) ، و(عـــزّت محمد جاد) في كتابه : (نظرية المصطلح النقدي)، و(عبدالسّـــــلام المسدي) ، وكتابه (المصطلح النقدي)، وكذلك كتاب الباحث (يوسف وغليسي) في كتابه (إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد) ، الذي يجمع فيه كمًا كبيرًا من النُّصوص النّقدية الصادرة عن أُطـــر منهجية جديدة من بينها البنيوية، والأُسلوبية، والشعرية ، والتفكيكية محاولًا فحص مفرداتها المصطلحية من خلال اعتماده على إجراءات تدور حول تصنيف وتحليل هذه المفردات ثم متابعة تطـــورها الدلالي في هجرتها من الغرب مهدها اللغوي والمعرفي الأول إلى البيئة النقدية العربية[18].

الخاتمـــة:

تمَّ البحث بفضل من الله - عز وجل- ، وقـــد كان من نتائجه الوصـــــــول إلى التوصيات الآتية :

1- إنَّ ما نحتاجه في النقد العربي المعاصـــر هو ضبط المصطلحات المستعملة، والعمل على تكوين فرق عمل من النقاد العرب لضبط هذه المصطلحات وتدقيق ترجماتها وإصدار نتائج عملهم الجماعي في قامـــوس يكون بمقدور النقاد ومدرســـي الأدب في الجامعات والطلبة والباحثين الرجـــوع إليه لضبط المعاني التي يقصدونها ، ومن هنا يبدو إنجـــاز قامـــوس نقدي اصطلاحي ضروريا لتقريب المعرفة النقدية المعاصـــرة إلى القارئ العربي الذي ابتعد عن عالـــم الكتابة النقدية بسبب غموض المصطلح وعدم ضبطه.

2- العمل على وضع معجم اصطلاحي بمصطلحات النّقد الأدبي يوحّد الجهود الفردية والجماعية ، ويضع قواسم عمل مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنقاد العرب.

3- السعي لتأسيس مصرف للمصطلحات النقدية وهو اتجاه حضاري بدأت تأخذ به الكثير من الدول المتقدمة.

4- التأكيد على أنَّ مهمة الباحث العربي الحديث لا تقتصر على عملية ترجمة المصطلح الأجنبي وإنَّما تتعدَّى ذلك إلى عملية وضع المصطلح الجديد.

الهوامـــــــش:

1- لسان العرب، ابن منظور، تح عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج96/2.
2- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح وضبط عبدالسلام هارون، ط1، دار الفكر، لا.ت، لا.ب، ج303/3.
3- التعريفات، الشريف الجرجاني، تح محمد علي أبو العباس، لا.ط، مكتبة القرآن، القاهرة، 2003م، ص24.
4- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، لا.ط، مكتبة غريب، مصر، لا.ت، ص9-11.
5- المرجع نفسه، ص11، 12.
6- المصطلح النقدي، عبدالسلام المسدي، لا.ط، مؤسسة بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1994م، تونس، ص5.
7- البيان والتبين، الجاحظ، تح حسن السندوبي، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 1993م، ج100/1.
8- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، ط1، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ص13.
9- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تح محمد علي أبو العباس، ص28.
10- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، ص13.
11- اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنثرية والمصطلح في الخطاب الحديث، فضل تامر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م، ص177.
12- قاموس اللسانيات، عبدالسلام المسدي، لا.ط، الدار العربية للكتاب، لا.ب، 1984م، ص56.
13- المرجع نفسه، ص55.
14- المصطلح في التراث النقدي، رجاء عيد، لا.ط، منشأة المعارف بالإسكندرية وشركة الجلال للطباعة، مصر، لا.ت، ص6.
15- المرجع نفسه، ص8، 9.
16- الأدب وخطاب النقد، عبد السلام المسدي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004م، ص144.
17- قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، ص72.
18- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص28.